الأهرام

١٩٩٨/٤/٥

جاءتني الرسالة التالية من قارىء عزيز شاء ان يحبس اسمه ويذيل رسالته بتوقيع «مستمع» ولا أدري تماما لماذا حجب اسمه، ومعظم ما قاله مفيد. ورغم ما جاء به من شطط أنشر الرسالة مع تعليق عليها فيما يلي:

رسالة عتاب من مستمع متيم بفن أم كلثوم!

حضرة الاستاذ على الراعي

تحية طيبة وبعد فقد قرأت مقالك الذى تحدثت فيه عن لقاء المرحومين احمد رامي وام كلثوم، وأيا ما كانت الرواية الصحيحة أو غير الصحيحة في هذا اللقاء الفذ، فإن الذى لا شك فيه ان هذا اللقاء كان هبة من الله لعباده لنجلو ارق واعذب شعر غنائي يعبر عن عاطفة صادقة بأجمل صوت عرف في العصر الحديث.

اقول ذلك، واحمد الله على انني عشت هذا العصر الزاهر للغناء منذ طفولتي وعلى مدى سبعين عاما، فاستمعت لأم كلثوم رحمها الله اول عهدها في اواخر العشرينيات، واوائل الثلاثينيات وماتلاها سمعت منها «ما لي فتنت بلحظك الفتاك»، «وافديه إن حفظ الهوى»، وإن حالي في هواها عجب»، و«يامنا ناديت من اساي» التي حرفها الطباعون في مقالك فجعلوها «اساس»، وما غنته في أفلامها وحفلاتها الى يوم ان اختارها الله لجواره، واستمعت لعبدالوهاب وهو يشدو «والنبي حبيبك»، و«بالله بالليل تجينا»، و«كلنا نحب القمر»، وفي الليل لما خلى»، و«بلبل حيران»، و«ياترى يا نسمة»، «وأحب اشوفك كل يوم»، «وحبيب القلب عود شوف الفؤاد»، وظللت استمع إليه بعد ان مزج موسيقانا الشرقية بالغربية حتى قضى نحبه وسمعت اغاني امير الطرب صالح عبدالحي رحمة الله إذ يؤدى اغاني المرحومين محمد عثمان واغاني خالد عبدالحي حلمي، فامتلىء حسرة على ذلك كان يمثل السمو الراقي والتفرد الفذ في كل شيء: في أدب نثر وشعر، وفي كل منحى من مناحي الحياة حتى الأخلاق وحتى الأصول المرعية التي جهلها شباب ايامنا النحسات هذه.

ومن نعم الله علينا ان كان عبدالوهاب يلحن اغانيه لنفسه فياتي بالعجب العجاب. يشهد له عمالقة من عمالقة اللحن الموثوق بأقوالهم الموسيقار الفذ رياض السنباطي يشهد «ان اجمل ما لحن عبدالوهاب هو ما غناه لنفسه»، وهي شهادة صادقة من رجل كان على رأى الدكتورة رتيبة الحفني لا يعرف المجاملة، ويقول «للاعور إنت أعور في وشه». واما ام كلثوم فقد تعهدها أول نشأتها الشيخ ابو العلا محمد رحمة الله ثم تولاها فنشاها تنشئته اى تنشئة وأسسها إيما تاسيس رائد التجديد الباهر المرحوم محمد القصبجي واحد عمالقة اللحنين، وتلاه زكريا احمد بروحه الشرقية الرفيعة، وجاء بعدهم السنباطي فجاء بالمعجب المعجز وتبارى ثلاثتهم فيما يلحنون فتم لنا حسن نادر من أطرافه: كلمة راقية ولحن معبر موح وأداء مميز.

ثم انتهى الغناء الجميل المعبر عن ارق عاطفة واحلى صوت، وبدا من جاء باغنية فرانكو اراب عنوانها: «مصطفى يا مصطفى» والتى بيع منها مليونا اسطوانة وقال عنها السنباطي رحمة الله: «هذه اغنية لا لحن فيها ولا كلمة ولا اداء» ثم تلتها اغنية «لولاك» التى درت على صاحبها سبعة ملايين من الجنيهات وهى لا تساوى «مليما برانيا» على رأى عبدالحميد الديب فيما هجا به صديقا له. فهل بعد ما استمتعنا بغناء ام كلثوم الراقي وعبدالوهاب وصالح عبدالحي، ينتهى بنا الحال الى هذا الغناء.

وبعد ايها الأستاذ فقد ذكرت في مقالك ان اغنية «الينبع» التي مطلعها «طاب النسيم العليل بليلة» بناتير من تلحين السنباطي، وهى ليست من تلحينه بل هي من تلحين المرحوم محمد القصبجي الذى بلغني انه قال عنها «ساتي بلحن لم يتفق لأحد ابدا» ولم يكن رحمه الله مدعيا فيما قال، بل جاء بما يعجز الطير وردة على رأى ابى الطيب رحمة الله. كانت وستظل اغنية تذوب القلوب لها رقة وتسبح فيها الأماني سبحا طويلا، وسل عنها الأستاذ نجيب محفوظ فقد كتب النجمي رحمة الله انها اغنية نجيب محفوظ المفضلة. وقد كنت اتصل بالقصبجي بين الحين والحين «تليفونيا» اسأل عنه، وقد تعرفت عليه واحببته بسبب قطعة موسيقية له اسمها «سماعي راست» وزارني رحمة الله مرتين عزف لي في زيارة منهما هذه القطعة على العود واتبعها بتقاسيم ثم عزف قطعته المشهورة «تكرياتي» وهي من نغمات النهاوند التى بنى عليها اغنيته: «مادام تحب ورق الحبيب».

وكنت كلما اتصلت به اثيرة بذكر الحان له يسر وقد ذكرته مرة بلحن «يامنا ناديت متن اساي» فعلا صوته قائلا: يا محمد ده حاجات ما حدش يقدر يعملها فقلت له: صدقت والله لا اسمع هذه الأغنية وتصويرها وبعض فقرات من موسيقاها إلا تذكرت ما قاله جوزيف ايبسون في مقاله القيم عن الروح او ما ظهر له وهو متامل له ينفخ في مزماره: إن هذه النغمات هي النغمات التى تعزف لتنفض عن الأرواح بتاريخ الموت وهي صاعدة إلى الجنة. هذا ما فعل القصبجي وخير الالحان ما سبح بك في مجالات وخلق لك أجواء من المتعة واللذة والشعور.

وقد لحن هناك هذا الفيلم ايضا «بافؤادى عن الحان الوفا والتى لا تكاد تصل إلى وأنا يا بهجة الروح انا نلت من ودك اسباب المنى إلا وتراك في حال لا سبيل الى تصويرها. تتخيل ولكن يعز على المرء كنه سرها وسبحان واهب المواهب ولحن لها ايضا الزهرة في الروض ابتسم اما زكريا احمد رحمه الله فلحن لهما قولى لطيفك ينثنى عن مضجعي، واغنية بكرة السفر والغنية: رحلت عنك ساجعات الطيور ولقد غنت ام كلثوم الغنية بكرة السفر او ما غنتها في الاذاعة ليل عيد فطر ١٩٤٠ يوم غنت ولاول مرة هلت ليالي القمر، وحرمتنا من سماعها غارة للطاليان قاتلهم الله، فانقطع الارسال الاذاعي فلم نسمع منها إلا المقطع الأخير الذى يقول فيه رامي:

واسقى هواك من كاس حبى/ ويسعدك الحان قلبي

وغنت للسنباطي في هذه الليلة «بالبلة العيد انسى لا تزال تغنى كل ليلة عيد فطر أو اضحى وكانها تذاع لاول مرة، ولحن لها في هذا الفيلم نشيد بغداد، واغنية النبع بامولانا ليست من تلحين السنباطي بل من تلحين القصبجي رحمه الله ورحم كل من اثرى عواطفنا وصقل اذواقنا وهذب نفوسنا بالحان اداها أجمل صوت هو صوت ام كلثوم

ومن الأشياء التى كنت اود الا يقع فيها الأستاذ اقتراحه حذف تكرار مقاطع بتصرف من ام كلثوم في مطولاتها.

ابريد الأستاذ ان يحرمنا حسنا - هو هبة الله لبعض خلقه للقوم اضفتهم الحياة بشرورها ومكر اهلها؟ لا احسبك تريد ذلك ولو راجعت نفسك لغيرت رايك اما المهتمون فيريدون المزيد من هذا التكرار. لو انني ذهبت استرسل فيما اطالت فيه ام كلثوم بتصرف لطال ذلك ولكني احيلك على المغنيتين وما جره التطويل إلى حسن لم يكن ليصير لولا هذا التطويل.

في المقطع الثالث لاغنية: غنى الربيع بلسان الطير والذى يقول رامي فضلت عايش في الأوهام/ لما اللى فات شفته تانى أخدت تتصرف تصرفا معجزا بقوله: «راح إللى راح من خيالى/ والوهم راح من خيالى فوالله ما استطيع ان اشرح لك في اى جو كنت اعيش، وفتح هذا الباب للقصبجي ليعزف على مدى دقيقتين أو يزيد عزفا على العود لا احسبه لجمال وروعة ما فتح من آفاق ومتعة اتفق لعازف عود مقرونا ذلك إلى أستاذية القصبجي كعواد وليته زادنا من هذا الاحسان الى الصباح.

وفي اغنية «اروح لمين» وفي المقطع الثالث فتح التصرف للقصبجي وقد ضجت الصالة بالطلبات ان يضرب - اعجازا في عزف ليتك تسمعه لتصدق ماقلت لك.. فلما انتهى ضجت الصالة بالتصفيق الذى لم تصفقه لام كلثوم نفسها ستزيدين القصبجي منها فتشجيت ام كلثوم ان يسحب البساط من تحت اقدامها ففاجاتهم برفع صوتها: «اروح لمين ومين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية